نحس يومياً بأن الصوت الفلسطيني ينتقل من الصباح حتى المساء، وعبر الاذاعة والتلفزيون والصحافة وكل وسائل الاعلام الأخرى، الى كل أنحاء العالم. كنا حريصين على إطالة أمد الصراع لأطول فترة ممكنة، لاننا كنا نعتمد، وقد ثبتت صحة هذا الاعتقاد: بأننا في كل يوم يمر على المعركة ندخل الى بيت جديد من هذا العالم. وبالفعل، لم تبق خلال الحرب مؤسسة دولية أو صحيفة أو إذاعة في هذا العالم إلا كتبت أو نشرت عن القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني. وأرغمنا العدو وكل حلفائه على أن يظهر وجهاً لوجه مع الحقيقة التي كان يحاول دائماً إنكارها. في كل الحروب السابقة لم يكن المقاتل الفلسطيني يتصدر الصراع، بل كان باستمرار مساهماً في المعركة في اطار الصراع العربي ــ الاسرائيلي. وكان العدو الاسرائيلي والحركة الصهيونية العالمية ينكران وجود المقاتل الفلسطيني والحقيقة الفلسطينية برمتها. فجاءت هذه المعركة لتثبت للمجتمع الاسرائيلي والعالم أن هناك قضية وحقيقة إسمها الشعب الفلسطيني المشرد، وأن هذا الشعب مقاتل ويقف وجها لوجه، وبمفرده إذا اقتضى الأمر، أمام العدو الذي كان ينكر وجوده على مدار السنوات الطويلة الماضية.

أستطيع القول: رغم شراسة المعركة وطولها، ورغم المعاناة الكبيرة خلال هذه الحرب، فان الخروج من بيروت بحد ذاته كان خروجاً مشرفاً. امتاز بدقة التنظيم، خروج مشرف، لانه حفظ للمقاتل الفلسطيني كرامته، ولأول مرة في تاريخ الصراع في العالم، يخرج المقاتلون بأسلحتهم، بكامل معداتهم وليافتهم العسكرية، رغماً عن أنف عدوهم. بالتأكيد، كانت خطة شارون التي كانت نكتة نتداولها في المجلس العسكري، أن يحمل القيادات الفلسطينية «بالشبك» ويلقي بها فوق المستعمرات والمستوطنات الاسرائيلية، لابادة هذه الثورة، وإهانة تاريخ نضالها ومستقبلها. كانت تصريحات شارون بهذا الخصوص مثار نكتة عندنا في المجلس العسكري. كنا نردد النكات على حكاية الشبك هذه. كانت هذه الحكاية بالنسبة لنا وللمقاتلين مصدر تصميم على متابعة الصراع ومتابعة القتال. وكنا مستعدين لكل الاحتمالات بما في ذلك احتمال الاستشهاد في مواجهة العدو، وكنا قد أعددنا أنفسنا لأن نقاتل العدو من شارع لشارع في حال دخوله بيروت.

العديد من الأخوة والتنظيمات شكلوا فصائل خاصة لمواجهة هذا الاحتمال، أتذكر أنني شكلت فصيلا من رماة الـ ب ـ ٧ أسميته فصيل «الزاروب [الزقاق] الأخير» وقلت لعناصره: «أنتم فصيل الزاروب الأخير، ومهماتنا وإياكم أن نقاتل معاً، والذي يبقى منا على قيد الحياة يطلق النار على الآخر عندما تنفذ ذخيرة الجميع». هذا مستوى الاستعداد الذي كان. الخروج كان لابد منه بعد قتال تسعين يوماً، لثقتنا بأننا سنتمكن من إعادة تنظيم أوضاعنا ومتابعة الصراع، مستفيدين من هذه التجربة الغنية. وكنا مقتنعين بأننا قد قمنا بواجبنا، وبيروت ليست مدينة فلسطينية. بيروت ليست القدس، ولو كانت بيروت مدينة فلسطينية لواصلنا صنع بطولات جديدة تضاف إلى بطولات وأمجاد المقاتل الفلسطيني.

تنظيم الخروج كان أيضاً دقيقاً، كان للاخ الصديق الكبير الشهيد أبو الوليد دور رئيسي في عملية التنظيم التي وضعنا فيها حساباً لكل الاحتمالات، بما في ذلك